

خلال الأحداث أصيبت وزارة نوري السعيد بضربة قاصمة أضعفتها كثيراً باغتيال وزير المالية رستم حيدر^(١)، الذي كان من الأنصار المؤيدين للسياسة البريطانية في العراق، وبادر نوري السعيد بتقديم استقالته وإحلال رشيد عالي الكيلاني^(٢) محله. وبتاريخ ١٨ شباط ١٩٤٠ قدم نوري السعيد استقالته التي قبلها الوصي عبد الله، ولكن تطورات الأحداث أجلت الاستقالة، فقد حاول اللواء الركن أمين العمري، في ٢٠ شباط من العام نفسه القيام بانقلاب عسكري والذي احبط من قبل الضباط الأربعة (صلاح الدين الصباغ ومحمود سلمان وفهمي سعيد وكامل شبيب)^(٣).

كان نوري السعيد راغباً في الاستقالة من الحكومة لفشله في تحقيق أغراضه واحتوائه العقداء الأربعة. وفعلاً استقالت وزارة السعيد وشكل رشيد عالي الكيلاني وزارته الثانية ٣١ آذار ١٩٤٠ - ٣١ كانون الثاني ١٩٤١ والذي تعمقت الخلافات في عهده بين الحكومة والوصي، لذا طالب الأخير وبضغوط من السفير البريطاني باستقالة الكيلاني الذي قدمها عندما غادر الوصي عبد الله بغداد ملتجئاً إلى الديوانية مقر قيادة الفرقة الأولى ليهرب من ضغوط الكيلاني والعقداء الأربعة الذين كانوا يطالبون بحل البرلمان قدم الكيلاني استقالته بسبب تفاقم الصراع في البلاد وكلف طه الهاشمي لتشكيل الحكومة الجديدة التي لم تستمر إلا شهرين حيث استقالت في نيسان ١٩٤١ ليعود رشيد عالي الكيلاني لتشكيل الوزارة مرة أخرى.

إن هذا التغيير في تشكيل الوزارة يعود بالتأكيد إلى ظروف الحرب والضغوط الكبيرة على الحكومة العراقية. والوصي عبد الله، والموقف من الأطراف المتحاربة.

اعتبر إرغام طه الهاشمي تقديم الاستقالة وتكليف الكيلاني بدلا عنه بمثابة انقلاب على السلطة الدستورية. فاضطر الوصي عبد الله الهرب من بغداد إلى الحبانية وثم إلى البصرة ومن هناك إلى شرق الأردن وبمساعدة السفير البريطاني والسفير

(١) عباس فرحان، رستم حيدر ودوره السياسي في العراق، رسالة ماجستير، جامعة بغداد.

(٢) قيس جواد علي، رشيد عالي الكيلاني ودوره في السياسة العراقية (١٩٢٠-١٩٦٥).

(٣) صلاح الدين الصباغ، فرسان العروبة في العراق، دمشق، ١٩٥٦.

الأمريكي في بغداد فاعتبروا عملية الهروب هذه عملية مدبرة ضمن مؤامرة بريطانية واسعة تستهدف النيل من استقلال وسيادة العراق. فبادر ضباط الانقلاب إلى تشكيل حكومة مؤقتة اطلق عليها اسم (حكومة الدفاع الوطني) لتصرف شؤون البلاد خلال مدة غياب الوصي. وترأس رشيد عالي الكيلاني هذه الحكومة التي كانت تضم العقلاء الأربعة ومحمد يونس السبعاعي^(١) ورئيس أركان الجيش الفريق أمين زكي.

تم ترشيح الشريف شرف ليكون بديلاً عن الوصي عبد الله خلال غيابه لمدة لا تتجاوز أربعة أشهر كما حددها الدستور، وبالمقابل يلتزم الكيلاني بتنظيم حملة إعلانية ضد الدعاية الألمانية، وتنفيذ الالتزامات الواردة في معاهدة التحالف البريطانية - العراقية وعلى نطاق أكبر من ذي قبل. ونشر الدعاية اللازمة لكسب تأييد الشعب العراقي لقطع العلاقات الدبلوماسية مع إيطاليا.

فسر السفير البريطاني مبادرة رشيد عالي الكيلاني بأنها جاءت نتيجة للموقف الصعب الذي يعاني منه الكيلاني، وقد ساهم تفسير السفير البريطاني الخاطئ لموقف الكيلاني في تصعيد حدة الموقف. وطالب السفير البريطاني من حكومته الاعتراف بحكومة الكيلاني لغرض كسب الوقت لحين وصول قوات بريطانية إلى العراق لإسقاطه.

قرر رشيد عالي الكيلاني وبتأييد العقلاء الأربعة خلع الوصي عبد الله وتشكيل حكومة دائمية لإضفاء الشرعية على حكمه. وبتاريخ ١٠ نيسان ١٩٤١ تم انتخاب الشريف شرف وصياً على عرش العراق بعد التصويت وبالإجماع على خلع عبد الله.

بقيت السلطات البريطانية تشكك في نوايا الكيلاني ولا تثق به بالرغم من تأكيده الالتزام بالمعاهدة العراقية - البريطانية لعام ١٩٣٠. ولغرض اختبار نوايا رشيد

(١) للتفاصيل يراجع: ذاكر محي، محمد يونس السبعاعي ودوره السياسي في العراق، رسالة ماجستير، جامعة الموصل.

عالي الكيلاني قرر رئيس الوزارة البريطانية ونستون تشرشل^(١) إرسال قوات بريطانية إلى العراق لضمان ترصين البصرة كقاعدة رئيسية متقدمة. وكان الكيلاني قد وافق منذ صيف ١٩٤٠ على تقديم التسهيلات العسكرية اللازمة إلى القوات البريطانية المارة من العراق والنازلة في البصرة لغرض فتح خطوط المواصلات البرية ما بين الخليج العربي وحيفا، وعندما نزلت هذه القوات بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٤١ لم تكن هناك نية على استمرار مرورها إلى فلسطين، كما وعد السفير البريطاني فبدأت الشكوك تساور القيادة السياسية والعسكرية في العراق وكذلك أوساط الشعب. وبضغوط من ضباط الجيش بادر الكيلاني إلى تقديم شروطه بنزول أي قوات بريطانية إلى البصرة.

كان إرسال قوات بريطانية بحجة المرور إلى فلسطين ومن ثم بقائها بشكل دائم أثار حفيظة الجيش العراقي فتم تطويق معسكر الحبانية من قبل القوات العراقية مما أدى إلى اندلاع الحرب ما بين القوات البريطانية والعراقية في مايس ١٩٤١^(٢) ففي ٢ مايس من العام نفسه هاجمت قوة بريطانية مؤلفة من (٥٠) طائرة بريطانية المواقع العراقية على تلال الحبانية، وردت القوات العراقية بنيرانها الشديدة إذ تمكنت المدفعية العراقية من إصابة (٤٠) طائرة بريطانية بأضرار واصبح (٢٢) منها غير صالحة للطيران. وحالت نيران القوات العراقية دون طيران الطائرات البريطانية من ارض قاعدة الحبانية وبهذا الصدد كتبت وزارة الحرب البريطانية "معنويات العراقيين اعلى مما كان يتوقع ولم تظهر أي علامات على اهتزازها"^(٣).

وفي اليوم الثالث من مايس قامت الطائرات البريطانية والتي أقلعت من قاعدة الشعيبية بمهاجمة قاعدة الرشيد الجوية في بغداد وتم تدمير (٢٩) طائرة عراقية، وفي هجوم آخر على بعقوبة والمسيب تم تدمير (١٣) طائرة عراقية أخرى ومصنع للعتاد الخفيف.

(١) للتفاصيل يراجع: محمد يوسف إبراهيم القرشي، ونستون تشرشل والقضايا العربية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

(٢) للتفاصيل يراجع: وليد محمد سعيد الأعظمي، انتفاضة رشيد عالي الكيلاني والحرب العراقية البريطانية ١٩٤١، بغداد، ١٩٨٧ محمود الدرة، الحرب العراقية - البريطانية ١٩٤١، بيروت، ١٩٦٩.

(٣) وليد محمد سعيد، انتفاضة رشيد عالي الكيلاني، الحرب العراقية - البريطانية ١٩٤١، ص ٩٦

واستمرت الهجمات البريطانية ضد المدافع العراقية على تلال الحبانية لعدة أيام أخرى، وفكرت القيادة العسكرية البريطانية بضرب العاصمة بغداد، ولكنها توقفت عن ذلك خوفاً من إثارة الراي العام العربي والعراقي، كما انه سيوحد الشعب العراقي اكثر ضد البريطانيين ويزيد نقيمتهم. لذا تم إسقاط (٢٤) الف منشور باللغة العربية على بغداد يوم الرابع من مايس حث فيه العراقيون على التخلص من رشيد عالي الكيلاني والضباط الأربعة (المربع الذهبي).

وبعد قيام القوات البريطانية بمهاجمة المواقع العسكرية العراقية عقدت حكومة الكيلاني اجتماعاً طارئاً تقرر فيه:

١. توجيه احتجاج إلى الحكومة البريطانية في بغداد ضد الهجوم البريطاني على القوات العراقية في الحبانية، ويحمل هذا الاحتجاج بريطانيا مسؤولية العواقب المترتبة على العدوان البريطاني.

٢. الطلب من ألمانيا لأرسال دبلوماسي إلى بغداد وبالسريعة الممكنة لاستئناف العلاقات العراقية – الألمانية.

٣. إقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي دون شروط مسبقة، وقد جاءت هذه المبادرة لان حكومة الكيلاني كانت بحاجة إلى دعم الأصدقاء في صراعه مع بريطانيا. لذا فقد أقيمت هذه العلاقات الدبلوماسية مع موسكو يوم ١٤ مايس ١٩٤١.

٤. إذاعة بيان من محطة الإذاعة العراقية من قبل رئيس الوزراء نفسه يوضح فيه تفاصيل العدوان البريطاني على العراق وقواته في الحبانية.

ولتضييق الخناق على حكومة الكيلاني اتخذت الحكومة البريطانية قراراً بطرد العراق من المنطقة الاسترلينية والتي سببت له مشاكل اقتصادية ومالية كثيرة، كما وتم إصدار تعليمات من قبل السفارة البريطانية إلى كافة البنوك الأجنبية العاملة في العراق بالتوقف من العمل واللجوء إلى مبنى السفارة. فتم ذلك وسحبت أيضاً كافة الأرصدة المالية وأرسلت إلى الحبانية حيث القاعدة الجوية البريطانية، وبتاريخ

٣ مايس تم أجلاء كافة الرعايا البريطانيين والأجانب من بغداد وباقي المدن العراقية.

هذا وقد أبدى بعض المسؤولين البريطانيين النصح بأجراء مفاوضات مع العراقيين على أساس تصفية الأزمة. ولكن دون جدوى. لذلك أكدت هيئة الأركان البريطانية بتركيز جهود القوات البريطانية في العراق على الأهداف التالية:-

١. الدفاع عن الحبانية بكل الوسائل المتاحة.
٢. الاستعداد لإرسال قوة لاستعادة الموقف في الحبانية والسيطرة على أنبوب النفط الصاعد إلى موانئ البحر المتوسط.
٣. استمرار ممارسة الضغوط على العراق من خلال السفير البريطاني في بغداد وتم إصدار التعليمات اليه بتهديد حكومة الكيلاني بتطبيق الإجراءات التالية اذا ما تطور الموقف إلى اندلاع حرب أهلية.

١. قصف بغداد بالقنابل.
٢. تدمير سد الصقلاوية بالقصف الجوي.
٣. تدمير محطات ضخ النفط.
٤. فرض الحصار البحري التام على البصرة.

وفي مجال الوساطة بين الطرفين كانت الحكومة التركية على اتصال مستمر بالسفير البريطاني الذي كان يطلب باستمرار ممارسة الحكومة التركية لضغوطها على العراق، كما قامت الحكومة المصرية بالتدخل لوقف الحرب وإنهاء النزاع.

وفي اليوم الرابع من القتال في الحبانية الموافق (٥) مايس قامت القوات البريطانية بأول تماس مع القوات العراقية إذ تكبدت الأخيرة بعض الخسائر، إلا إن القوات العراقية استمرت بقصف قاعدة الحبانية والذي سبب الحاق أضرار بالغة بالطيران البريطاني.

ولا شك إن الخسائر التي أصيبت بها القوات العراقية بسبب القصف الجوي في هذه المرحلة من القتال وعدم المبادرة في اقتحام القاعدة سبب في تحول الموقف التعبوي بشكل تام إلى صالح البريطانيين. كما قام الطيران البريطاني في قاعدة الشعبية بالهجمات الجوية على الجيش العراقي والقوة الجوية العراقية.

وفي ليلة ٦/٥ مايس بدأت القوات العراقية بالانسحاب من مواضعها على تلال الحبانية، فتم إرسال دوريات المشاة البريطانية لمطاردة القوات العراقية واصطدمت معها على طريق الفلوجة في قرية (سن الذبان) ووقع في الأسر خلال المعركة (١٢) ضابط وأكثر من (٣٠٠) جندي عراقي.

واستمر القتال بين قوات الطرفين العراقي والبريطاني وبلغ إجمالي خسائر القوات العراقية التي اشتركت في معركة الحبانية نحو مئة جندي، ووصل عدد الأسرى العراقيين (٢٦) ضابط و (٤٠٨) من المراتب. كما تمكنت القوة الجوية البريطانية من تدمير (٢١) طائرة في قاعدة بعقوبة، وبحلول يوم ٧ مايس تم تجريد القوة الجوية العراقية تماما وأصبحت غير قادرة على الدخول في أية معركة جوية. كما وضربت الطائرات البريطانية مطار بغداد المدني، وفي ٨ مايس قامت الطائرات البريطانية بمهاجمة بعقوبة وشهربان وخانقين وكركوك، ودمرت (١٢) طائرة أخرى في الحبانية، فضلاً عن ذلك قامت الطائرات البريطانية بـ (٤٧) مهمة جوية ضد الفلوجة والرمادي. وبانتهاء الحصار العراقي للقاعدة البريطانية في الحبانية استعادت القوات البريطانية حريتها في المناورة والتحرك ولم يعد المعسكر البريطاني تحت رحمة المدفعية العراقية.

وبعد انتهاء الصفحة الأولى من المعركة وفقدان القوات العراقية المبادئ التعبوية. طالب قائد العمليات العسكرية البريطانية في جنوب العراق الجنرال (ويفل) من رئيس الوزراء البريطاني تشرشل مدى إمكانية التوصل إلى حل سياسي للصراع بين الطرفين. ولكن تشرشل أجاب انه " لم يبق هناك أي أمل لحل النزاع بشكل دبلوماسي". وكان يصر على استخدام القوة العسكرية وبصلابة، كما أشار إلى

الوضع الصعب الذي تعانيه حكومة رشيد عالي الكيلاني، وانه يتوجب على (ويفل) مشاغلة الجيش العراقي ودخول العاصمة بغداد ولو بقوات صغيرة. كما واكد تشرشل في أوامره التي أصدرها إلى (ويفل) بانه لا توجد هناك أية نية للتفاوض مع الكيلاني.

إزاء ذلك طالبت حكومة الكيلاني من حكومتي ألمانيا وإيطاليا المساعدة لوقف الهجمات الجوية البريطانية، سيما بعد تدمير القوة الجوية العراقية والانسحاب من الحبانية. ولذلك أصبحت الحاجة إلى المساعدة ضرورة ملحة.

وبوصول الطائرات الألمانية إلى ساحة المعركة يوم ١٥ مايس انتعشت معنويات الجنود العراقيون، واعقب ذلك وصول سرب من الطائرات الإيطالية نزلت في كركوك يوم ٢٨ مايس ولكن هذا السرب فشل في القيام بأي فعالية. أبقت الحكومة العراقية امر وصول الطائرات سرا، ولكن الطائرات البريطانية اكتشفت وجود ست طائرات المانية في أربيل و (١٦) طائرة أخرى في الموصل فبادرت إلى قصفها فتم تدمير اثنين في أربيل وثمانية طائرات في الموصل.

وفي يوم ١٩ مايس هاجمت (٥٧) طائرة بريطانية المواضع العراقية في الفلوجة وحواليها، كما قامت القوة الجوية البريطانية بقصف قاعدة الرشيد الجوية في بغداد يوم ٢١ مايس وتدمير معظم الأوكار الكبيرة للطائرات العراقية لحرمان الطائرات الألمانية من استخدامها، وخلال المدة ما بين ١٦ و ٢٠ مايس فقدت الاسراب الألمانية العاملة في العراق خمس طائرات قاذفة واحدى عشر طائرة مقاتلة من ضمن (٢٤) طائرة صالحة للاستخدام.

وبعد نجاح القوات البريطانية في السيطرة على مدينة الفلوجة، استمر القصف الجوي البريطاني لعدة أيام أخرى. وفي ٢٢ مايس وصل إلى الحبانية جواً الوصي المخلوع عبد الاله ونوري السعيد وبطانته، وبتاريخ ٢٣ مايس وصل الجنرال (ويفل) إلى البصرة مع القائد العام للقوات البريطانية في الهند لدراسة موضوع إرسال التعزيزات اللازمة إرسالها إلى العراق للسيطرة على الوضع. وتقرر فيها

إرسال قوة متقدمة من الشعبية إلى بغداد بالسكك الحديدية بعد السيطرة على الموقف في البصرة تماماً، كم تقرر إرسال تعزيزات عسكرية أخرى لإكمال الحشد البريطاني في العراق بما يعادل فرقتين عسكريتين.

كان سقوط الفلوجة بأيدي البريطانيين قد جعل الطريق مفتوحاً أمام القوات البريطانية إلى بغداد، فصدر العقيد الركن صلاح الدين الصباغ أوامره لإنشاء خط دفاعي حول العاصمة بغداد، فتم حفر خندق بطول (١٦) كيلو متر وبعرض خمسة أمتار، وتم أيضاً تنظيم دفاعات العاصمة بقاطعين خلف الخندق، قطاع الكاظمية وقطاع الوشاش. لكن القصف المكثف للقوات البريطانية للقاطعين جعل قادة الجيش العراقي يطالبون بوقف إطلاق النار وعقد الهدنة وإنهاء الحرب.

وكان رشيد عالي الكيلاني والعقلاء الأربعة قد تركوا البلاد متوجهين إلى إيران، وفشلت خطة الكيلاني لنقل حركة المقاومة إلى الشمال بعد أن وجد نفسه وحيداً في بغداد ومحاطاً بالقوات البريطانية من كل جانب. وقام بعد ذلك أمين العاصمة أرشد العمري ومدير الحركات العسكرية العقيد الركن نور الدين محمود بزيارة السفارة البريطانية لإبلاغهم بمغادرة الكيلاني والعقلاء الأربعة بغداد مع الحاج أمين الحسيني. وثم بعد ذلك تشكيل لجنة الأمن الداخلي برئاسة أمين بغداد.

وفي ٣٠ - ٣١ مايس جرت مفاوضات بين الطرفان البريطاني والعراقي لإجراء الهدنة التي وقعت في ٣١ مايس ١٩٤١ وتضمنت ما يأتي:

١. وقف كافة الحركات العدائية بين الجيشين فوراً.
٢. يسمح للجيش العراقي بالاحتفاظ بجميع أسلحته ومعداته وعتاده إلا أنه يتوجب على كافة وحدات الجيش أن تتوجه إلى معسكراتها المخصصة لها عادة في وقت السلم.
٣. إطلاق سراح جميع اسرى الحرب البريطانيين فوراً.
٤. حجز كافة الأعداء من الألمان والإيطاليين ممن في الخدمة على أن تحتفظ الحكومة العراقية بتجهيزاتهم الحربية لحين صدور التعليمات.

٥. جلاء القوات العراقية عن مدينة الرمادي وضواحيها.

٦. تسليم كافة اسرى الحرب العراقيين والذين في أيدي البريطانيين حالياً إلى الوصي.

وفي اليوم الأول من حزيران وصل من الحبانية إلى بغداد كل من الوصي المخلوع عبد الاله بصحبة جميل المدفعي إذ استقبلهم السفير البريطاني. وللسيطرة على كافة المدن العراقية نقل فوج من القوات البريطانية إلى قاعدة الموصل الجوية للسيطرة عليها. ثم قامت الطائرات البريطانية برمي المنشورات على المدن العراقية والتي كانت تحمل شروط الهدنة. ولحين وصول الوصي عبد الاله إلى بغداد تم تشكيل حكومة جديدة برئاسة جميل المدفعي بناءً على تعليمات وزارة الخارجية البريطانية.

أما خسائر الطرفين فقد بلغت الخسائر العراقية خلال حرب الثلاثين يوماً هذه (٣٣) ضابطاً و (٤٦٤) جندي وجرح (٣٦) ضابط و (٦٥٩) من المراتب وفقدان (٥٤٩) آخرين. أما الخسائر البريطانية فقد بلغت (١٥٠) قتيل وجريح و (٤٠) أسير.

كان لسقوط حكومة رشيد عالي الكيلاني في ٣١ مايس ١٩٤١ المؤشر إلى بداية عهد جديد في حياة العراق السياسية. فقد تمكن عبد الاله وبمساعدة جيش الاحتلال البريطاني من تصفية الحركة الوطنية والجيش العراقي، وكانت أهداف بريطانيا بعد قمع الانتفاضة ما لخصها السفير البريطاني في بغداد (السير كينهان كورنواليس)^(١) (ضمان كافة التسهيلات لمرور المعدات الحربية البريطانية عبر العراق وضمان الفرص اللازمة لتدريب واتخاذ الإجراءات الدفاعية من قبل قواتنا البحرية والجوية والبرية، والقضاء على كافة العناصر المؤيدة لألمانيا وإجراء تغيير شامل في الراي العام لتسهيل ما ورد أولاً).

(١) عدي محسن، كينهان كورنواليس ودوره السياسي ف لعراق حتى عام ١٩٤٥، رسالة ماجستير، جامعة بغداد.

هذا وقد تميزت العلاقات بين الجيش العراقي والسفارة البريطانية بعد توقيع اتفاقية الهدنة العراقية البريطانية بالتوتر نوعاً ما في البداية إذ كانت الحكومة الجديدة ورئيس أركان الجيش العراقي حريصين على تجنب كل نقد باتهامهم بانهم موافقين على الاحتلال البريطاني الفعلي للبلاد والتخلي عن المصالح الحيوية للعراق وبمرور الوقت فقد تحسنت هذه العلاقات بشكل ملحوظ.

وبعد قمع الانتفاضة العراقية كانت المعضلة الأساسية التي تواجه عبد الاله والسلطات البريطانية في العراق هي مسألة تصفية الجيش العراقي. لذا فقد قرروا القيام بعملية إعادة تنظيم شاملة للجيش العراقي والتخلص من كافة العناصر الوطنية من الضباط والذين كانت بريطانيا تتهمهم (بالنازية) للضمان ضد خطر احتمال قيام الجيش العراقي وفي أي وقت بدعم وإسناد انقلاب آخر ضد بريطانيا، والعمل على تقليص حجم الجيش العراقي وإعادة تنظيمه بإشراف مستشارين بريطانيين. وقد شملت هذه التصفية للجيش قادة الفرق والألوية. فأحيل على التقاعد كافة الضباط الوطنيين الموالين لرشيد عالي الكيلاني وتمت إحالة عدد منهم إلى محكمة عسكرية خاصة لمحاكمتهم. وبلغ عدد الضباط المحالين على التقاعد والمطرودين من الجيش (٤١١) ضابط.

ولا شك إن عملية تصفية الجيش كانت تستهدف تقليص حجم الجيش العراقي على مراحل لضمان ولائه لنظام عبد الاله ونوري السعيد الموالين لبريطانيا.

و في تقويم لانتفاضة مايس ١٩٤١ فيلاحظ إنها بينت درجة كراهية الشعب والجيش العراقي للبريطانيين ومؤيديهم في العراق. وقد استمر هذا الشعور وتعاضم مع استمرار الاحتلال البريطاني للعراق. وكانت انتفاضة مايس رمزاً للتحدي العراقي لبريطانيا إذ وقف الشعب العراقي خلف حكومة رشيد عالي الكيلاني، وكان الجيش العراقي والصحافة الوطنية هي الواجهة التي كان يخافها البريطانيون ومؤيديهم.

وكان الجهاد المقدس قد اعلن من قبل العلماء ورجال الدين في العراق، وتطوعت النساء العراقيات للقتال إلى جانب الجيش ضد القوات البريطانية، وقام الشيخ سعيد